الكلية التربوية المفتوحة

التعليم العالي لا تعترف بشهاداتها ولا يسمح لخريجيها بتدريس اختصاصهم!

لماذا يتغير عمداء الكلية كل ثلاثة اشهر؟

عند الصباح، هم معلمون.. يذكون عقول تلاميذهم باسس المعرفة، وفي الظهيرة.. هم تلاميذ.. ينصتون بشغف الى اساتذتهم الذين يفتحون امامهم مغاليق العلوم والمعارف وكل ما يمنح الانسان ويمده بعناصر البحث والتقصي عن الحقائق.
انهم طلبة الكلية التربوية المفتوحة احدى مؤسسات وزارة التربية (المدى) تجولت في اروقتها واقسامها وقاعاتها وصفوفها، دون سابق موعد فكان هذا التحقيق:

بغداد/ شاكر الميام

مشاريع للتطوير

التقينا الدكتور عبد الكريم محسن محمد معاون العميد للشؤون العلمية والادارية وسألناه أولا: متى تأسست الكلية التربوية المفتوحة؟.. فقال: تأسست الكلية بموجب قرار صدر عام ١٩٩٨، الا انها لم تباشر علمها الفعلي الا في العام الدراسي ٢٠٠٠-٢٠٠١ وقد تخرج منها حتى الآن ثلاث دورات متعاقبة ومازلنا مستمرين باستيعاب المعلمين الراغبين في اكمال دراستهم فيها ونحن بصدد اعداد مشاريع وخطط من شأنها تطوير مساراتهم العلمية والتعليمية، والكلية تقسم الى تسعة اقسام علمية وانسانية، تشمل التربية الاسلامية واللغة العربية والتربية الفنية، والتربية وعلم النفس، والعلوم الاجتماعية واللغة الانكليزية والرياضيات، واستحدثنا مؤخرا قسم العلوم الطبيعية تدرس فيه الفيزياء والكيمياء والبايلوجي فضلا عن التربية الرياضية، وعن الاهداف التي من اجلها انشئت الكلية قال: للكلية جملة اهداف ولكن الهدف الرئيس هو الارتقاء بمستوى المعلم في الجوانب العلمية والمعرفية والثقافية والمهارية يمنح على اثرها المتخرج شهادة البكالوريوس التعليمي وهي شهادة معترف بها من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي لان قرار التأسيس نص على ان هذه الشهادات تعادل ما تمنحه كليات وجامعات التعليم العالي، التي تشرف على سير التدريس والدراسة والمناهج في كليتنا فضلا عن التنسيق الدائم والمستمر بيننا وبين هيئات التعليم العالي في المجالات العلمية والتربوية.

لقد استحدث استثناء في قضائي الدجيل وبلد مركزان وهناك ضرورات لهذا الاستثناء منها وجود البناية والكلية المناظرة في المنطقة وكذلك الملاك التدريسي الذي يكون ملزما بالتدريس وعلى وفق تعهدات خطية موقعة من قبل الاساتذة المكلفين بالتدريس وبشكل دائم.

وسالناه عن المؤشرات العلمية التي تؤكد جدوى وجود واستمرار الكلية فأجاب:

نحن اكاديميون نعتمد بالاساس في تقييماتنا على ما تفرزه نتائج البحوث والدراسات والملاحظات التي يبديها المحاضر في الكلية، ونستطيع القول ان لدينا مؤشرات ايجابية جدا بأن الكلية قد حققت هدفها الرئيس الذي نوهب به آنفا. وهذا يدل على نجاحها في انجاز مهامها.

وعن اوجه التشابه والاختلاف بين الكلية التربوية وكلية المعلمين ذكر معاون العميد: ان التشابه يكمن في المناهج الدراسية المعتمدة من قبل التعليم العالي، والفرق هو اسلوب التعلم ففي كليتنا يكون التعلم بطريقة التعلم المفتوح، والتعلم عن بعد أي المفتوح زمانا ومكانا بمعنى ان الطالب غير ملزم بالحضور لان المحاضرات التي تلقى في الكلية نطلق عليها تسمية الجلسات التشاورية أي ان الاستاذ يكون في القاعة ويأتي الطالب وقد اعد اسئلة تخص الموضوع مع الاستفهامات الاخرى، وبدوره يقوم الاستاذ بالرد والاجابة عن تلك الاسئلة.

اما بالنسبة للامتحانات فإنها تجرى كما تؤدى في هيئات التعليم العالي لان المناهج الدراسية وجداول الامتحانات واحدة.

ونتبع فيها جميع القوانين والقواعد التي تصدرها وزارة التعليم العالي بهذا الشأن.

وعن قبول خريجي الكلية التربوية في الدراسات العليا اوضح الدكتور قائلا: ان مسألة اكمال المتخرج دراسته العليا للحصول على شهادة الماجستير والدكتوراه فهو حق مشروع له وكما ورد في ديباجة قرار التأسيس لانه لا يختلف عن اقرانه من خريجيها والكليات الاخرى وعلى هذا الوصف فقد اكمل بعض خريجي كليتنا دراستهم العليا وحصلوا على الماجستير من بعض الكليات الأهلية، اما في كليات التعليم العالي فلم يقبل حتى الان طالب في الدراسات العليا.

وعن حصة الكلية من الزمالات والبعثات الدراسية التي توفرها التعليم العالي يقول الدكتور عبد الكريم: طلبتنا غير مشمولين بهذه الزمالات والبعثات الدراسية وكذلك غير مشمولين بالمخصصات الجامعية مع العلم باننا كنا مشمولين بها قبل سقوط النظام السابق، والسبب يعود الى مزاج المشرعين الذين اقروا هذه المخصصات وجعلوها حصرا بمنتسبي وزاراتهم وحرموا الآخرين منها وبضمنهم اساتذة كليتنا ولا اجد مسوغا واحدا لهذا الاستثناء، واطالب من خلال صحيفتكم الغراء بشمولنا بهذه المخصصات التي تقضي العدالة بمساواتنا مع اقراننا اساتذة هيئات التعليم العالي وقد سبق لنا ان قدمنا عدة طلبات ومقترحات الى الجهات المعنية بهذا الشأن الا انها لم تلق الاذان الصاغية.

وسألته: من يضطلع بمهمة وضع المناهج الدراسية للكلية فاجاب قائلا: نحن نعتمد مقررات التعليم العالي والمفردات التي تصنعها اللجان القطاعية فيها، والمناهج عبارة عن مقررات دراسية يقوم الطلبة باستنساخها وتداولها، ليس هناك كتاب مطبوع كما هو الحال في المدارس بل هناك مصادر يؤشرها الاستاذ، وربما يكون للمادة الواحدة اكثر من مصدر.

وحول جواز تغيير الدرجة الوظيفية للخريج من معلم الى مدرس قال: لا يجوز هذا لان الهدف من قبوله في الكلية هو تطوير التعليم الابتدائي، من خلال رفع مستوى كفاءته العلمية... وعن الاشراف على المراكز الدراسية في المحافظات قال: هناك اشراف مباشر من مجلس الكلية ونقوم بزيارات دائمة فضلا عن الايفادات التفقدية للاطلاع عن كثب على انسيابية التدريس وتنفيذ المناهج ومواظبة الطلبة ومستوياتهم العلمية.

اما ابرز المعوقات التي اعترضت عملهم في العام الماضي فهي بقاء الكلية اسيرة التمويل الذاتي، الذي يعتمد بالدرجة الاساس على ما يدفعه الطالب من مبالغ كأجور دراسية فقط، وتفتقر الكلية الى التخصيصات المالية التي تمنح لباقي الكليات التابعة للتعليم العالي، هذه المبالغ ندفع منها اجور المحاضرات للاساتذة والمدرسين وتأمين الاحتياجات الضرورية كالاجهزة والمعدات المختبرية وغيرها من المتطلبات.

وعن اهم المشاريع التي تنوي الكلية تنفيذها لغرض النهوض بواقعها ذكر معاون العميد بان اهم هذه المشاريع هو سعي الكلية لان تكون جامعة، وفتح مجالات للدراسات العليا.

ولتوفير التقنيات التربوية وبالتسيق مع المراكز الدراسية والاقسام ونسعى لانشاء (ستوديو) لتسجيل المحاضرات ونأمل توسيع الافاق المستقبلية بتضافر الجهود وبتفهم الوزارة لطبيعة هذه الآفاق التي ستحدث كما نعتقد نقلة نوعية في مفاهيم ومفردات العملية التربوية في العراق.

المكتبة الالكترونية

انشأت وزارة التعليم العالي المكتبة الالكترونية الافتراضية التي شملت حتى الآن سبع جامعات عراقية ووفرت من خلالها اكثر من ١٧ الف مصدر علمي وبحثي، فهل انتم ضمن المساحة التي ستغطيها هذه المكتبة؟ فأجاب:

الكلية المفتوحة ليست ضمن خطط وزارة التعليم العالي كونها تدخل في هيكلية وزارة التربية، وتخضع لمقرراتها، وتتبع نظامها وتعمل في ضوء تعليماتها وضوابطها.

وعن ادخال دروس الحاسوب في مناهج الكلية قال: دروس الحاسوب موجودة في جميع الاقسام، ولدينا فضلا عن ذلك مختبر كامل للحاسوب وعلى سبيل المثال قسم التربية الفنية يدرس فيه الحاسوب منذ السنة الاولى حتى السنة الاخيرة.

اللغات والطموح

وعن تدريس اللغات الاجنبية وامكانية ادخال لغات اخرى عدا اللغة الانكليزية كاللغة الفرنسية والالمانية وغيرها قال: لدينا طموح ورغبة قوية في تطوير مناهج الكلية بشكل عام ومنها تدريس بعض اللغات الحية، ولكن ينقصنا الملاك المتخصص وهذا يمكن تجاوزه اذا ما جرى التعاون بيننا وبين الجامعات الاخرى.

وسألته عن عدد الطلاب الذين تخرجوا من الكلية منذ انشائها حتى الآن فأجاب قائلا:

بلغ عدد الطلاب الذين تخرجوا منذ العام الدراسي ٢٠٠٠-٢٠٠١ ما يقرب من ثلاثة آلاف متخرج في بغداد وحدها وبنفس العدد في عموم العراق والتفاوت بين الخريجين ليس كبيرا.. بل اجزم بان المستويات تكاد تكون متقاربة بسبب وحدة المناهج وطرق التدريس.

نوعيات الطلبة

بعد ذلك التقينا الأستاذ عبد الكريم خليفة محمد الكرخي، ماجستير آداب- علم النفس، وسألناه اولا: كيف ترى طلبتك الذين يعدون جزءاً من العملية التربوية في العراق؟ فقال:

يتميز طلبتنا عن باقي طلبة الكليات الاخرى بمميزات عديدة من الخبرة الميدانية في مجال التعليم وكذلك بالوعي والنضج.

وسألته: هل هناك تحديد للفئات العمرية التي تقبل في الكلية؟ قال: لم يحدد نظام القبول في الكلية اية فئة عمرية معينة ولكن في العامين الماضيين تقرر قبول الطلبة الذين هم دون سن الـ٥٠ عاما لان حسابات الكلية لم تقتصر على تطوير مهارات المعلم، بل تذهب الى ابعد من ذلك، الى حيث مستوى انتاجه ومنجزه بعد تخرجه وهذا الاجراء لا يقصد منه حرمان هؤلاء من الاستزادة العلمية والمعرفية بل هو اجراء فني واداري.

وعن المفاضلة في القبول بين المعينين حديثا وبين من لديهم خدمة اكثر قال: المفاضلة تجري على وفق سنوات الخدمة ونوع التخصصات فعلى سبيل المثال هناك افضلية لخريجي معاهد المعلمين على خريجي الدورات التربوية، اما مجالات الدراسة للمعلمين، فكل حسب اختصاصه واتحنا فرصة لمن يريد تغيير اختصاصه ودراسة اختصاصات عامة.

انحياز غير مبرر

وعن سؤال حول المؤشرات التي ربما افصحت عن مواهب وطاقات متفردة لدى بعض الطلبة؟ قال: نعم: لدينا طلبة متميزون جدا في تخصصاتهم وهم مؤهلون للدراسات العليا بعد تخرجهم ولكن وللاسف الشديد فان وزارة التعليم العالي تضع حواجز وعقبات كثيرة، بشأن قبول خريجي كليتنا في الدراسات العليا، وانا شخصيا اجد ان هذه الحواجز والعقبات، ما هي الا نوع من الانحياز غير المبرر نحو خريجي مؤسسات التعليم العالي، ينبع من النظرة المتعالية لتلك المؤسسات التي ترى ان مؤسسات وزارة التربية، ومنها كليتنا هي في مستوى ادنى منها، وهذا يتسبب في الحاق حيف كبير بنا وبطلبتنا واذا ما علمنا بان غالبية اساتذة التعليم العالي وتدريسييها هم في الاصل كانوا معلمين او مدرسين يعملون في مفاصل العملية التربوية، وليس هذا فحسب، بل ان كلية التربية الاساسية كانت معهدا لاعداد المعلمين تابعاً لوزارة التربية، وهنا لا بد ان اشير الى ان وزارتي التعليم العالي والتربية وفي معظم دول العالم المتقدمة، تشكلان وزارة واحدة، لان اهدافهما واحدة، ابتداء من رياض الاطفال حتى الدكتوراه.

وعن العلاقة بين الطلبة والاساتذة يقول الاستاذ الكرخي: انها علاقة تتسم بالحميمية والشفافية، وبالمحبة والالفة ولهذا فان كليتنا لم تثر فيها اية مشكلة، من شأنها ان تفسد هذه العلاقة منذ سقوط النظام السابق حتى الآن.

مناهج مماثلة

لقاؤنا التالي كان مع الدكتور مؤيد ناجي احمد/ رئيس قسم اللغة الانكليزية الذي حدثنا عن المنهج المقرر قائلا: هي ذات المناهج المقررة في الكليات المناظرة والتابعة لمؤسسات التعليم العالي، من حيث الكتب المقررة والساعات والوحدات، وهي مركزية وموحدة في بغداد والمراكز الموجودة في المحافظات.

محطتنا التالية كانت في قسم الرياضيات ولقاؤنا كان مع الدكتور غالب خزعل رئيس القسم، وسألناه اولا عن مدى تأثير التباين بين الفئات العمرية على المستوى العلمي للطلبة فقال: العمر المتوسط هو الاكثر استيعابا للمادة، أي بين سن ٣٠-٤٠ عاما، هؤلاء هم الفئة العمرية الذين يبدون نشاطا ذهنيا واضحا.

وسألته عن مستوى الدعم المتقدم من قبل وزارتي التربية والتعليم العالي قال: ليس هناك دعم مباشر من قبل وزارة التربية فيما ترفض وزارة التعليم العالي الاعتراف بالشهادة التي تمنحها الكلية لطلبتها ولهذا فهي لا تقبل خريجيها في الدراسات العليا، ويستدرك الدكتور غالب قائلا: في الاعوام القليلة الماضية، كانت التعليم العالي تقبل خريجي الكلية في الدراسات العليا، أما في العامين الماضيين، فلم يقبل أي خريج، مع توفر الشروط التي تضعها لدى البعض منها.

وهناك مسألة جديرة بالاهتمام تتمثل بتعاقب وتغيير العمداء خلال فترات قصيرة جدا، بعضها لا يتجاوز الثلاثة اشهر وهذا يحدث ارباكا في مجمل مسيرة الكلية.

وخلال تجوالنا بين الصفوف التقينا عددا من الطلبة وكانت البداية مع الطالبة سهى عدنان سألناها عن طموحها فقالت: طموحي لا يقف عند حدود البكالوريوس بل يذهب الى ابعد من الماجستير، لذا اتمنى ان تلتفت وزارة التعليم العالي الى هذا الموضوع وتجد له حلا.

فيما اقترح الطالب طامي ان تنظم عمادة الكلية زيارات دورية للكليات الصباحية بغية الاطلاع على اهم المنجزات التي حققتها في مجالات التطورات والتحديث، مشيرا الى شحة المصادر والاعتماد على المساعد فقط، وهو مادة مكثفة لا تغني الطالب.

أما زميلته عطارد مهدي احمد فقد ذكرت ان عدم السماح لهم بتدريس تخصصهم يشكل احد المعوقات التي تحرم الخريج من اهم حق من حقوقه فضلا عن عدم تغيير العنوان الوظيفي وتعديل رواتبنا، في حين اوضح عدد من الطلبة: أن البكالوريوس الممنوح للخريجين يظل شكليا ما لم يقرن باجراءات من قبل وزارتي التربية والتعليم العالي من اجل تعضيد الشهادة التي تمنحها الكلية التربوية المفتوحة، على سبيل المثال قبول العشرة الاوائل في الدراسات العليا، وهذا يمثل ادنى طموح خريجي هذه الكلية.

اما الطالبة (هديل جبار) المرحلة الرابعة- قسم الرياضيات فقد ذكرت انها تعمل موظفة في وزارة التربية، وقبلت في الكلية رغبة منها في تغيير موقعها الوظيفي، بعد تخرجها، الا انها صدمت بعدم السماح لها بتغيير عنوانها الوظيفي من موظفة الى معلمة او مدرسة، واعربت عن املها في ان تعالج وزارة التربية هذه القضية التي تشمل الكثير من الخريجين امثالها، وعن اجور الدراسة قالت: في البداية بلغت الاجور ١٥٠ الف دينار ثم اخذت بالارتفاع حتى وصلت الى ٢٥٠ الف دينار، بعد ذلك التقينا احد خريجي الكلية الذي يشغل الآن منصبا رفيعا في احدى مديريات التربية السيد احمد خالد الشويلي وسالناه: هل لك في مقارنة بين المستوى العلمي للمعلم المتخرج من الكلية التربوية والمعلم المتخرج من معاهد او دور المعلمين فأجاب قائلا: التباين ليس في المستوى العلمي، لان المنهج الذي يدرس للتلاميذ هو واحد، لكن التباين الحقيقي في كيفية التعامل مع مفردات المنهج وتكييفها لتصل الى ذهن التلميذ بسهولة، هنا يتضح لنا دور الكلية التربوية في انضاج ادائية واسلوب المعلمين.

وبغية الاحاطة بجميع الجوانب المتعلقة بهذه الكلية وللتعرف على الاسباب التي تحول دون قبول خريجيها في الدراسات العليا التقينا الدكتور محمود المرسومي رئيس قسم الدراسات العليا في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الذي عزا هذه الاسباب الى اعتماد الطلبة على نظام التعليم عن بعد، وكذلك عدم مواظبة الطلبة يوميا، لذلك فان وزارة التعليم العالي والبحث العلمي لا تعترف بالشهادات التي تمنحها هذه الكليات التي تعمل على وفق هذا النظام، بل تعترف بشهادات المتخرجين من الكليات التي تعتمد نظام الكورسات. ومع ذلك فقد تمت مخاطبة وزارة التربية لارسال مفردات مناهج الكلية التربوية المفتوحة بغية دراستها واتخاذ الاجراءات المناسبة التي تضمن حقوق جميع طلبة هذه الكلية، الا ان الوزارة لم ترد علينا حتى الآن، وعندما نتسلم الاجابة سنقوم بدراسة هذه المناهج ومطابقتها مع مناهج الكليات المناظرة.

طلبة احدى الجامعات يستمعون الى محاضرهم

الرأي الثالث

فسحة التقاط الانفاس

صافي الياسري

لا خلاف على ما هية وتوصيف الوضع الامني على الساحة العراقية الآن، وان درجنا على ملامسة بعض الاختلافات في زوايا النظر الى الصورة العامة لهذا الوضع وتفاصيلها، ومع ذلك يمكننا القول، على وفق اجتهاداتنا الخاصة، ان هذا الوضع يشبه الحالة العراقية عامة، ويدخل اطر مفاهيم ومصطلحات التشكل الجديد والثمن الذي يقتضيه هذا التشكل، أي اننا نعيش حالة اميبية عامة تشمل الكيان العراقي وركائزه كلها، ولا يشفع له فيها تاريخه ورصيده الحضاري الممتد الى سبعة آلاف عام لاعفائه من البدء من الصفر من جديد، او الاستفادة من بعض موروثاته التي استعجل الكثيرون -لاغراض طائفية وعرفية وجهلا وارتزاقا- تشويهها كي لا تعود صالحة للاستنهاض والاعتماد في التشكل الجديد.

أي اننا نعيش حالة اميبية عامة تشمل الكيان العراقي وركائزه كلها، ولا يشفع له فيها تاريخه ورصيده الحضاري الممتد الى سبعة آلاف عام لاعفائه من البدء من الصفر من جديد

ومع الاصرار المبرر على وضع المربع الامني على قمة اولويات المسؤولية العراقية، الحكومية والمدنية ووضع بقية مكونات المنظومة الامنية في مواضع متأخرة نسبيا، لتحكم الفهم العام القائم للكيفية التي تتحرك بها آلية المتغيرات العراقية على وفق قوانين التكنولوجيا السياسية التي اصطلح اللاعبون على المسرح السياسي العراقي، انها هي الحاكمة وليس سواها، وكان من المفترض استحقاقا ومن كل مكونات المنظومة الامنية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية والثقافية والقواعد المادية المطلوبة والبيئة والقيم، على القمة ذاتها في الوقت نفسه لسد النقص القائم الاحتمال ومنع انفتاح ثغرات هامشية قد تؤدي الى انهيار البناء برمته، في لحظة تعميم عمياء لفكرة خارج السياق لتحول المجرم الى شهيد او لتقلب المفاهيم رأساً على عقب، ولدق ركائز قوية متعددة المواقع لاسناد خطوات البناء ومنع تراجعها وتثبيت واقع تراكمها المضطرد، نقول على وفق هذا الحال يمكن الحديث عن الترتيبات السياسية وتحركات الحكومة العراقية على دول الجوار، وضرورة اكتمالها بالتحرك على المحاولة الداخلية لتحقيق درجة من التوافق السياسي الداخلي تضمن ولو سلاسة نسبية لتنفيذ فقرات البرنامج السياسي للحكومة بحسب اهميتها وبما يمنح الجميع فسحة لالتقاط الانفاس او نوعا من الهدنة التي يمكن ان تستمر لوقت يسمح باطفاء العديد من الالتهابات الثانوية، التي تؤجج حرائق (ستراتيجية) وتغذي ديمومتها، هذه الفسحة على وفق اجتهادنا الخاص، يمكن ان تكون قاعدة ومدخلا للاستقرار الامني، دارجة وسياقات مواتية يتوافق عليها الغرماء، او اطراف المعادلة العراقية على اختلاف مواقعهم وانتماءاتهم وآرائهم وزوايا رؤيتهم وسلوكياتهم، بما يثبت الحال الى امد بعيد وينقل نشاط الحكومة والقوى السياسية والاجتماعية الى ميادين اخرى تزيد من ثبات الوضع العام والبناء الجديد وترسخه يتوحد او التقاء القناعات في الاقل.

المدن الآمنة تبني نفسها.. السليمانية انموذجاً

محمد درويش علي

حينما تأخذك السيارة من المطار الى وسط المدينة، لا تستطيع ان تتابع عملية التغيير التي حصلت في هذه المدينة، ولا سيما البناء المتواصل عبر جانبي الطريق. هنا حفر في الارض، بانتظار ان يدق الاساس فيها لبناء عمارة سكنية، او فندق او دائرة ما.. هنا اكتمل البناء على احدث الطرز في البناء. هنا بناء جديد مكتمل كان مكانه سابقا ساحة فارغة.. لا تدري الى اين تلتفت، لئلا تفوت عليك فرصة مشاهدة شيء من هذا او ذاك.

احدى محطات التزود بالوقود، كانت مبنية كما في الافلام الاجنبية.. المهم من كل هذا لم يبق شيء على حاله القديم حتى منطقة رزكاري التي بنيت فيها دور عمال السكائر، اولئك العمال الذين هجروا من منطقة نفط خانة الحدودية في منتصف السبعينيات وكانوا يعملون في شركة النفط، ونقلوا خدماتهم الى هذا المعمل، أقول حتى هذه الدور، احيطت بدور اخرى مبنية وفق احدث الطرز، تشعر وكأنها غير تلك المنطقة، لجمال ونظافة بيوتها وشوارعها.

استوقفت فتاة اقتربت من الثلاثين، وهي بكامل اناقتها وسألتها عن بيت صديقي الذي لم أزره منذ عشرين عاما، أجابتني بكل ثقة بسؤال: ما اسماء اطفاله؟ اجبتها: شاروخ لديه ولد بهذا الاسم، واضافت لديه ولد آخر اسمه كاروخ، قلت لها: لا اعرف ان كان لديه ولد آخر بهذا الاسم. قالت: هما من طلابي، والدار التي بجانب تلك الدار المصبوغة منذ اسابيع هي دارهم، كانت اكثر من واثقة، واكثر من رقيقة، سألتها عن احوال المدينة، اجابت: كما ترى فمدينتنا تغيرت بشكل كامل، وحصل كل هذا التطور، بفضل جهود ابنائها.

في طريق عودتي من بيت صديقي الى وسط المدينة، كانت سيارة الكوستر لا تقف الا في الاماكن المخصصة لها، اذ تنحرف نحو اليمين في فسحة من الشارع خصصت للوقوف.

شعرت حينها بأن وجود رجل المرور فائض عن الحاجة، طالما الكل يطبق القانون، في السوق استوقفني احد المارة، وعرفني بنفسه، وهو احد اصدقائي القدامى وقال لي: اعمل هنا منذ عام، لان فسحة الحياة ضاقت بي في بغداد.

سألت شابا يبيع الشلغم في دكان صغير وهو يترنم باغنية كردية راقصة: هل يكفي واردك من بيع الشلغم لسد مصاريفك؟ نعم يكفيني وانا سعيد بعملي.

باعة الصحف يملأون الارصفة والكتب متوفرة هي الاخرى على الارصفة والمكتبات، وشاهدت اكثر من كتاب مترجم الى اللغة الكردية، ربما من العربية او من لغته الام.

منها دواوين لاكتافيو بات ودوستويفسكي واخرين، أما الكتب العربية الموجودة، فمعظمها دراسات نقدية. الجانب الآخر من السوق فيه من يبيع الملابس الكردية الفلكلورية او يخيطها وفق القياس المطلوب، وكذلك بائع الحذاء المعروف بـ(الكلاش) الذي يصل سعره الى سبعين الف دينار.

وباعة الكماليات والزجاجيات والملابس والتسجيلات والعسل والكرزات ومختبرات التصوير، السوق لكثرة ازدحامه تشعر وكأنك في عيد، فتيات بعمر الزهور، شباب، أناس جاءوا من محافظات اخرى لينعموا بالسلام، بعد ان اعيتهم المفخخات هناك.

مقترنات ثقافية وفنية

استمعت الى الفرقة السمفونية، في السليمانية وهي تقدم مقطوعات موسقية لبيتهوفن، تمثلت في هذه الفرقة الروح المتألقة والمتجددة، وكانت عبارة عن خلية نحل تعمل بحس الانسان الواحد، العازفون يمتلكون ادواتهم الفنية، قائد الفرقة نجاد أمين، يشعرك بالكبار الذين يقودون الفرق الموسيقية العالمية.

لم يشعر احد من الحضور، وهم كثر ومن الطبقة المثقفة بأن هناك نشازا في عزف احد اعضاء الفرقة.

اما الفرقة الموسيقية التابعة لوزارة الثقافة هناك، فشاهدت تمرينا لها، لتقديم اغنيات للمطرب كريم كابان الذي قالوا عنه انه يعاني الآن من امراض الشيخوخة، كانت الفرقة هي الاخرى بمستوى المسؤولية، عازفون شباب ومنشدات شابات، ومطرب شاب يطربك بصوته الحنون، واصرار من الجميع على تقديم ما هو جيد ومبتكر.

وكان هذا واضحا في الفرقة القومية للرقص الشعبي بأدائها الراقص المتناغم، وحرصها على تقديم الفلكلور الكردي بشكله المعروف.

جامعة السليمانية، لم تختلف عن باقي الجامعات في أي مكان، بأقسامها وطلابها وتواصلهم

الدؤوب. احد الطلاب قال: لا يوجد عندنا نقص في أي شيء، ويكفي مديتنا بعد خراب الوضع السابق، فيها جامعة بهذا المستوى وفيها ثقافة وعلم وكل شيء.

آراء من الشارع

سائق التاكسي كان هادئا في سياقته وكلامه.. شاهدت مساحة فارغة من الارض قلت له: ماذا كانت في السابق؟ أجاب: انها حامية عسكرية اما الآن فإن حكومة الاقليم ستجعل منها حديقة تنبت زهورا بدلا من الرصاص والخوف والقتل، صدق هذا المواطن الكردي، فالحدائق كثيرة في السليمانية، وكأنها لوحات فنية تطرز المدينة.

في مدينة الالعاب الاطفال كانوا يمرحون، ليس هذا حسب، وانما الصبايا كن يمرحن وكأنهن فراشات يلتقطن الصور التذكارية، ويصعدن في دولاب الهواء والعاب الصغار الاخرى، بفرح ومحبة.

سوبرماركت

(السوبرماركتات) تملأ المدينة، وبامكانك ان تأخذ ما تحتاج اليه، بدءا من الفواكه والخضراوات وانتهاء بما لا يخطر في البال، مواد غذائية مرتبة ومنظمة وفق جمالية واضحة، هذا

ما شاهدته في اكثر من سوق، وفي اكثر من مكان في المدينة.

تجولت هنا وهناك، والتقيت بشرائح متباينة تعيش بألفة وسلام في المدينة، شعرت بأن هذه المدينة يختبئ فيها الف معنى ومعنى، اهمها حرية غير مشروطة، كما في عنوان لمجموعة باث الشاعر المكسيكي المعروف، الا بالانتماء اليها.

كل من تراه وتحدق فيه، يشعرك بانتمائه الى المدينة.. انها مدينة آمنة، تبني نفسها.